

نعمة النسيان !!..

وكم هناك من أشباح رهيبة مخيفة لذكريات بائسة أو مواقف مرعبة تقلق بال المرء وتضنيه ، وهو يطاردها وهي تطارده ، فإذا استطاع في النهاية أن يتغلب عليها ، ويفر منها ، ولو إلى حين ، شعر بالغبطة والارتياح ..

لقد كنت بالأمس أعتقد أن ضعف الذاكرة عيب من عيوبى ، ونقيصة من نقائضى ، وكنت أثور على نفسى ، وأسىء الظن بعقلى ، حينما يتطلب منى موقف من المواقف أن أتذكر نصاً من النصوص ، أو حادثة من الحوادث ، أو رقماً من الأرقام ، ولكنى آمنت بعد طول التأمل والتدبر ، أن هذا العيب له فوائده ومنافعه ، بل لعل منافعه أكثر بمراحل ومراحل من عيوبه ، فهذه الأشياء التى يجب أن على أتذكرها من الممكن أن أستعين على تذكرها بوسيلة من الوسائل أو طريقة من الطرق ، ولكن هذه الأشياء التى تزعجنى وتؤلمنى ، بل وترهقنى وتضيقنى حين تذكرها ، لاحيلة لى معها للقضاء عليها والتخلص منها إلا بالنسيان ، فأكرم بالنسيان من علاج ودواء يجدى وينفع حين تفشل الألوان الأخرى من الدواء . وليست هناك - علم الله - لحظات أبهى أو أسعد من هذه اللحظات التى تنهى للإنسان من حين إلى حين ، فينسى فيها كل ما حوله من هموم وغموم ، وأعمال وأشغال ، وحوازل ونوازل ، ويصبح أشبه بالجواد الأصيل الذى أرهقه طول الجرى ، ثم هيئت له فترة الراحة والاستجمام ، ليعود أقوى مما كان على الجرى والسباق !!..

والله لولا النسيان عند أصحاب الهموم من بنى الإنسان لانفجرت هذه العقول ، وانشقت تلك القلوب ، وانفجرت هذه الصناديق البشرية التى زاد عليها الضغط حتى أصبحت لا تطيق زيادة أو احتمالاً ؛ فإذا كنت ممن ينسون ، وأنت من أرباب الشواغل فافرح وابتهج ، فلك نعمة سيقى إليك فى مظهر عيب ... وإن كنت فى أول الضريق ، وحياتك هادئة ، وشواغلك قليلة ، وحياتك تتطلب التذكر ، فعالج نفسك ولا تعجل بعقد صداقتك مع النسيان ، فإن أوانه لم يحن بعد !!

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

لا يجادل إنسان فى أن الذاكرة القوية هبة من الهبات ونعمة من النعم ، وخصوصاً عند الذين تضطرب ظروف حياتهم وطبيعة أعمالهم إلى استذكار معلومات خاصة تلزمهم لدى قيامهم بواجباتهم المختلفة ، فالطلبة والمدرسون والمحامون والخطباء والمؤرخون والمندامون وما شابه هؤلاء يحتاجون أكثر من سواهم إلى ذاكرة قوية ، وملكة حفظ جيدة تسعفهم بما يتطلبون من أرقام أو أفكار !! .

ولذلك نحن ننصح الشباب الذين يصابون أثناء دراستهم أو استذكارهم بمرض النسيان أو ضعف الذاكرة أن يعجلوا باستشارة المختص فى هذه العلة ليعالجوها أو يقضوا عليها ، وإلا تعرض مستقبلهم لأخطار جسيمة !! .

ولكننا خارج هذا الميدان المحدود نرى أن النسيان نعمة من النعم ومنحة من المنح ، فعقل الإنسان محدود ، وإذا كرهته ضيقة النطاق مهما كانت قوية ، وما أشبه عقل الإنسان بصندوق لا يتسع إلا لمقدار معين من الأشياء ، أو بوعاء من المطاط تحشر فيه المواد وتضغط ثم تضغط ، ولكن حينما يزداد الضغط ويخرج عن حدود الإمكان ، لا بد لهذا الوعاء من التمزق والتشقق ، ومن هنا جاء المثل القائل : إن كثرة الضغط تولد الانفجار ... ومن السهل عليك أن تطبق هذا المثل على عقل الإنسان . فكل واحد منا يقرأ أشياء ، ويرى أشياء ، ويستنتج أشياء ، وكل هذه المراتب والمسموعات والمقروءات والمستنتجات تترك رواسبها وآثارها فى عقل الإنسان ، فتحتل منه جزءاً كبيراً أو صغيراً ، ويحاول العقل أن يقوم بترتيبها وحفظ النظام والتوافق بينها ، واستخدامها عند اللزوم ، وإظهار بعضها وستر بعضها الآخر ، وهذا مجهود مضن متعب لا يمكن للإنسان أن يقوم به فى كل الأحوال على صورة مرضية ، وخاصة إذا زادت هذه المعلومات والخزونات فى عقل الإنسان عن الحد المستطاع !!..

نعم ما كثر المناظر المؤلمة التى رآها الإنسان والتى لو بقيت فى ذاكرته لآتعبته وأشقتة ، ودليل ذلك أنه حينما يتذكرها فى مناسبة من المناسبات يحاول جاهداً بكل طريقة ووسيلة أن ينساها ويتخلص منها حتى لا تنقض عليه ...